" اللواء": الثلاثاء 5 تشرين الاول 2010

تشكيل

معرض الفنانة شذا شرف الدين

كولاج منمنمات وفوتوغراف

من المعرض

سيكون علينا استيعاب الفنون الحديثة التي عبثت باللوحة· وصارت تنتج لوحة ضد اللوحة· حين تطعمها بمواد ليست من طبيعتها اللونية، إضافة إلى جعلها نحتاً نصف نافر· ثم الإنتقال بها إلى التصوير· مقاطع من لوحات قديمة· وفوتوغراف حديث، لنساء معروفات، وغير معروفات· أقله هناك وجه هيفاء وهبي· على الحصان المجنح· وحتى لو كانت هناك إشكالية الحصان الطائر، هل هو حصان مذكر· أم فرس مؤنثة، يبدو أن كولاج الفنانة يعمل لتأنيث الحصان والتأكيد على استبدال رأسه· بفوتوغراف أنثى· وربما هذه إشكالية· معروفة باسم الجدل البيزنطي· ولا تستقيم في هذه المعادلة المجحفة· حيث كان رجال الدين أيام حصار العثمانيين للقسطنطينية يتجادلون حول جنس الملائكة· ذكور أم إناث، وهم في التراث الفني عبارة عن أطفال جميلين جداً بأجنحة في السماء وبين الغمام· وهم غير الملاك الذي هبط في بابل، وهم مجهولو الجنس حتى هذا غير محسوم لا في الجدل الديني، ولا في الجدل التاريخي· إذن تلعب الفنانة على كوميديا اللوحة بنقائضها· بين الفوتوغراف· ومقاطع المنمنمات المجموعة بطريقة لائقة ورائعة، في توليفها وتوضيبها عن المخطوطات المنمنمة· هي مصورة منها من فارس والهند· وربما من منمنمات الواسطي عن مقامات الحريري· وهذا فن إسلامي بامتياز· له سماته، زخارفه وألوانه· بعده الواحد في اللوحات، وله طقوسياته وسحره الذي يتجلى حتى الآن في المنمنمات الإسلامية الإيرانية· وصولاً إلى حرفة السجاد·

قلت أن الفنانة تنقض المنمنمة التي تولفها· بوجه امرأة· وعلى الخيول الطائرة· وعلى شخوص المنمنمات بل تذهب في الصغيرة كثيراً· إلى سمات الأيقونة· وتذهيب فضاءاتها· وإطاراتها· كل ذلك في استيعاء واستيعاب لهذا الفن الغريب العجيب الذي هو من واقع الحياة الحضارية· ومن ألبسة النسيج المرسوم المنسوج بالخيوط الملونة، والمقصب· والمكتوب عليه كما في المخطوط حكايات وأشعار· ومقاطع صوفية· وقرآنية· وأمثال وحكم شعبية وغير ذلك من فن المخطوطات· المكتوبة المصورة على هذا الصعيد المرئي المقروء· ربما في نصوص اللذة الشرقية الإشراقية التي تحفل بذلك· والفنانة تعمد إلى ذلك ويعتريها الشغف تجاه توليف هذه المنمنمات· وإخراجها بحلة جديدة بجمع مقاطعها من منمنمات عدة ربما اختلفت بالمناخ والجواءات· والتاريخ· إلا أنها تضفي عليها مجاورة حميمة حنوناً لجهة تآخيها·

ومصاهراتها وجعل المقاطع شقيقات مؤتلفات في الفضاءات التي تملأها بها· وهنا تأتي ضربة الشمس أو الفوترغراف وهو التصوير الشمسي في هذه المنمنمات الكولاجية· لتنقلها ليس عبر الكوميديا كما تقول· بل أظن عبر كوميديا الأخطاء· وهنا يعن على بالنا اللوحة ضد اللوحة، طالما أنها ما زالت مساحة داخل إطار أو ما يشبه مرئيات عبر نافذة· أو غير ذلك· حيث تقع المنمنمات في المشتبه غير المتشابه· إنما تخدعنا للوهلة الأولى، ونظنها متناسخة إلا عندما نتداركها بحذق في عناصرها، ونتأملها ربما أكثر من مرة· وهكذا تمارس الفنانة إيقاعات المنمنمات بجماليات بازغة باذخة· وكأنها قادمة من برزخ تاريخي غابر، لكنها ساحرة غامرة وآسرة في حضورها حتى أن الوجه الفوتوغرافي الحديث· لا يؤثر كثيراً سوى بنقض الجزء الملصق عليه· بينما بقية الأيقونة متوهجة طازجة، وفيها رغائب تتجوى في النفس، وفيها تعاويذ، ورقى وأحجبة· وغيمومات، وانطماسات، وصحو ومحو، قدر ما نشاء من جماليات· لا تنتهي ولا تتناهى لأن هذه المسارات والمدارات الفنية الشرقية الإشراقية كانت فعل تبتل وعبادة وإيمان· وكانت نصوص لذة ومتعة جمالية، وانتشاء روحي، وهي لغة مرئية· في الحدس والذوق لمبدعيها ومبتكريها، وكأن الفنانة رغبت وأرادت محاكاة ذلك، وهذا يعجز الآن إلا لمن تمتع بالصفاء والنصاعة الروحية والإيمانية، وربما الصوفية، والعصر لا يسمح بذلك لفتاة حديثة مثلها· فتعالقت بالمنمنمات وتعاشقتها، وتخايلتها وتصاورتها· ووصلت إلى <قصقص ورق سويهم ناس>·

هي قصقصت المنمنمات، بعثرتها، وتوزعتها توليفاً ومونتاجاً وتوضيباً وتراكباً وتراكم صور مع بعضها وربما فوق بعضها البعض، وجاءت بها كي تنقضها أو تسخر منها، أو تؤنثها، وتعول على تأنيثها كما فعلت بالبراق على قول ابن عربي، كل شيء لا يؤنث، لا يعول عليه، هي التي ذهبت في موسقة أعمالها، وفي شفافتها ورهافتها، وفي تألقها وسطوعها وحتى في إيقاعاتها الوريقة الوارفة· وفي صحوها ومحوها· كائناتها وزخارفها،· ثم ربما في سوريالية الكولاج التي ضمت مقاطع إلى بعضها البعض· كنقيض وكاستحالة ضم· وفي كل الأحوال هذه تجربة من تجاريب ما بعد الحداثة الفنية· وكاستحالة ضم· وفي كل الأحوال هذه تجربة من تجاريب ما بعد الحداثة الفنية· ومن التجهيز والانشاء· وهي تثير الإشكال والجدل، وهي مستعارة من الغرب لكن بجواءات وعناصر شرقية·

إلا أن حضور هذه التجاريب يدفعنا للحوار معها، حتى لو كانت لا تستفزنا وربما كانت عبثية عدمية· لاهية، وحتى لا معنى لها، إذ أطلقوا عليها الفن المفهومي كي نتفهمه حتى ونحن ننكره أو ننفيه، ورغم ذلك خرجت متسائلاً· ما معنى هذا المعرض وما جدوى التعب فيه؟ وتوقفت عن الجواب لأن هذا السؤال يحيل إلى أسئلة مستمرة· في ثورة الفن الحديث؟

زهير غانم